ذكر بعض الثمار العظيمة للتسليم

إن للتسليم لله ﷻ في أخباره وأحكامه الشرعية والقدرية والإخلاص لـه وعبادته وحده سـبحانه آثـارًا طيبة وثـمارًا يانعة في الدنيـا والآخرة، يـذوق المسـلم حلاوتهـا، ويتفيأ ظلالها، ويشـعر فيهـا بالقيمـة الحقيقية للحيـاة وغايتها، التي يرحـل كثير من الناس من هـذه الدنيا ولم يذوقوا لهـا طعمًا. ولذا فإن أعظم ثمرة للتسـليم لله ﷻ يمن بها سـبحانه على من يشـاء من عباده، هو أن يدخله جنة الدنيـا قبل جنة الآخرة. وجنة الدنيا هي السـعادة القلبية، والطمأنينة النفسية، وتذوق حلاوة الإيمان، وجنة الآخرة التي فيها ما تشتهيه النفوس وتلذه الأعين، مما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر، وأعظم هذا النعيم رضى الله سبحانه، والتلـذذ برؤيـة وجهه الكريـم. يقـول الله ﷻ عن جنة الدنيـا والآخرة: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١] ويقول سـبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وعن جنة الدنيا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فاحرص أن يكون همك واحدًا، وأن يكون هو الله وحده، فهذا غاية سعادة العبد، وصاحب هذه الحال في جنة معجلة قبل جنة الآخرة، وفي نعيم عاجل كما قال بعض الواجدين: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.. وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم أهل الجنة إلا هذا»[1].

هذه أعظم ثمرة للتسليم في الدنيا والآخرة من حيث الجملة. ويمكن تفصيل فروع هذه الثمرة في الثمار الآتية:

- **الثمرة الأولى: السعادة والطمأنينة وسلامة النفوس من القلق والاكتئاب والرضا بقضاء الله تعالى.**

إن العبد المسلم لربه المستسلم لحكمه لا تراه إلا مطمئنًا راضيًا سعيدًا سالمًا، مما يعتري كثير من الناس من الهموم والغموم والاكتئاب والاضطراب، وذلك لمعرفته لربه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، التي تثمر في القلب تعظيم الله عز وجل ومحبته ورجائه وحسن الظن به سبحانه، وهذا من مقتضى رحمته وعلمه وحكمته وبره ولطفه، وهذا كله يثمر الطمأنينة والسعادة في النفس، فلا تجزع ولا تسخط، بل ترضى وتسلم عند حلول المصائب والمحن. ولا يعني

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص ٣٠،٣١ باختصار. ت: عبدالله المديفر.

هذا أن المسلم لربه لا يحزن ولا يصيبه هم وغم. بل المقصود أن الحزن والغم عند المصائب يخففه كثيرًا معرفة العبد لربه ولأسمائه الحسنى واستسلامه لحكمه وحسن الظن به، والرضا بقضائه.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧]. وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضى والرزق الحسن وغير ذلك. والصواب أنها حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة.. وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح فإنه ملكها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة. وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث. أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار. والمعيشة الضنك تكون في الدور الثلاث. فالأبرار في النعيم هنا وهنالك، والفجار في جحيم هنا وهنالك. قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾[النحل: ٣٠][1].

(١) مدارج السالكين ٣/ ٢٥٩، باختصار.

ويتحدث سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن أثر التسليم لأقدار الله ﷻ في الرضى والطمأنينة، فيقول: «إنه قدر الله وراء طرف الخيط البعيد، لكل حادث، ولكل نشأة، ولكل مصير، ووراء كل نقطة، وكل خطوة، وكل تبديل أو تغيير.

إنه قدر الله النافذ، الشامل، الدقيق، العميق.

وأحيانًا يرى البشر طرف الخيط القريب، ولا يرون طرفه البعيد. وأحيانًا يتطاول الزمن بين المبدأ والمصير في عمرهم القصير، فتخفى عليهم حكمة التدبير. فيستعجلون ويقترحون. وقد يسخطون. أو يتطاولون!

والله يعلمهم في هذا القرآن أن كل شيء بقدر، ليسلموا الأمر لصاحب الأمر، وتطمئن قلوبهم وتستريح، ويسيروا مع قدر الله في توافق وفي تناسق، وفي أنس بصحبة القدر، في خطوه المطمئن الثابت الوثيق»[1].

وليس معنى هذا أن يلغوا عقولهم وإرادتهم ونشاطهم. ولكن معناه أن يتقبلوا ما يقع - بعد أن يبذلوا ما في وسعهم من التفكير والتدبير والاختيار - بالرضى والتسليم والقبول. فإن عليهم ما في وسعهم والأمر بعد ذلك لله».

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٤١.

والطمأنينة والسعادة يهبها الله ﷻ للناس أفرادًا وجماعات عندما يستسلمون لشرع الله ﷻ وأحكامه، التي كلها خير ويسر وعدل ومصلحة للعباد، فكلما حكَّم الناس في حياتهم شرع الله واستسلموا له وتحاكموا إليه فإن السعادة والمودة والأمن والسلام يسود هذا المجتمع، وينعم الناس فيه بالهناء، والعكس من ذلك حينما يحكم في الناس أحكام الجاهلية وقوانينهم الظالمة الجاهلة، فإن التعاسة والشقاء والشحناء هي التي تظلل مثل هذه المجتمعات، كما هو مشاهد اليوم في واقعنا المعاصر.

• **الثمرة الثانية: إخلاص العبادة لله وحده، وذوق حلاوتها، والسلامة من الرياء.**

العبد المستسلم لربه سبحانه وحده لا يعبد إلا الله وحده، ولا يريد بعمله إلا وجه ربه سبحانه، ولا يلتفت إلى غيره من طلب محمدة أو شهرة أو مصلحة دنيوية. وقد ضرب الله ﷻ لنا مثلًا معبرًا يفرق فيه سبحانه بين الرجل المستسلم لله وحده لا شريك له، وبين رجل له شركاء متشاكسون، لا يدري من يرضي ومن يقصد، قال الله ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عند هذه الآية: «هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد. فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون، والرجل المتشاكس الضيق الخلق. فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى، شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين. والموحد لما كان يعبدالله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له، وعلم مقصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوى هذان العبدان»[1].

ويتحدث ابن تيمية رحمه الله تعالى عن أثر التسليم لله ﷻ في ذوق حلاوة العبودية وإخلاصها لله تعالى: فيقول:

«فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان، المتضمن عبوديته لله، ومحبته له، وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيبًا إلى الله، خائفًا منه، راغبًا راهبًا، كما قال تعالى ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾[ق: ٣٣].

(١) إعلام الموقعين ١/ ١٨٧.

وإذا كان العبد مخلصًا لله اجتباه ربه، فأحيا قلبه واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإن فيه طلبًا وإرادة وحبًّا مطلقًا، فيهوى ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر به عطفه وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة، وغير المحرمة فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًّا، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق، وتارة يستعبده الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع هواه بغير هدى من الله. ومن لم يكن خالصًا لله عبدًا له قد صار قلبه معبدًا لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، ويكون ذليلًا له خاضعًا، وإلا استعبدته الكائنات»[1].

ومن علامات الإخلاص وصدق العبودية لله تعالى محبة ما يحبه الله ومن يحبه، وبغض ما يبغضه الله ﷻ ومن يبغضه والبراءة منه.

(١) العبودية لابن تيمية ص ١٢٣-١٢٤ باختصار.

• **الثمرة الثالثة: تفويض الأمور إلى الله ﷻ، وصدق التوكل عليه سبحانه، والخوف منه وحده**

إن المسلم المستسلم لربه ﷻ الفقيه بأسمائه الحسنى، المتعبد له سبحانه بها، لا تراه إلا مطمئن القلب، قد فوض أموره إلى مولاه سبحانه، راضيًا بحكمه، موقنًا بحكمته ورحمته ولطفه، محسنًا الظن بربه. في كل ما يقضيه ويقدره عليه، وهذا يثمر صدق التوكل عليه سبحانه، الذي هو غاية الاعتماد مع غاية الثقة. يفعل الأسباب عبادة لله سبحانه غير متعلق بها، لأنه يعلم أن خالق الأسباب ومسبباتها هو الله ﷻ، وهذا اليقين يجعله متبرءًا من الحول والقوة، غير متعلق بمخلوق في خوفه أو رجائه أو رغبته أو رهبته، كما قال سبحانه عن نبيه هود عليه السلام عندما هدده قومه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولما علم نبي الله أن ربه على صراط مستقيم في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، وقضائه وقدره، ومنعه وعطائه، وعافيته وبلائه، وتوفيقه وخذلانه، لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس، الذي تقتضيه أسماؤه وصفاته من العدل

والحكمة والرحمة والإحسان والفضل، ووضع الثواب في مواضعه، والعقوبة في موضعها اللائق بها، ووضع التوفيق والخذلان، والعطاء والمنع والهداية والإضلال، كل ذلك في أماكنه ومحاله اللائقة به، بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء، أوجب له ذلك العلم والعرفان، إذ نادى على رؤوس الملأ من قومه بجنان ثابت وقلب غير خائف، بل متجرد لله ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٥]، ثم أخبر عن عموم قدرته وقهره لكل ما سواه، وذل كل شيء لعظمته، فقال: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]، فكيف أخاف من ناصيته بيد غيره، وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه دونه، وهل هذا الأمر إلا من أجهل الجهل وأقبح الظلم، ثم أخبر أنه سبحانه على صراط مستقيم، فكل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد جوره ولا ظلمه، فلاأخاف ما دونه، فإن ناصيته بيده، ولا أخاف جوره وظلمه، فإنه على صراط مستقيم، وهو سبحانه ماض في عبده حكمه، عدل فيه قضاؤه، له الملك وله الحمد، لا يخرج في تصرفه في عباده عن العدل والفضل، إن أعطى وأكرم وهدى ووفق فبفضله ورحمته، وإن منع وأهان وأضل وخذل وشقى فبعدله وحكمته، وهو على صراط مستقيم»[1].

(١) الجواب الكافي ص ١٤٧.

ومن الأدب الذي يثمره التسليم وتفويض الأمور إلى الله ﷻ أدب الاستثناء فيما ينوي العبد فعله في المستقبل، أي تقييده بقول: (إن شاء الله تعالى). كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[الكهف: ٢٣ - ٢٤].

ومن نماذج الأدب مع الله في الاستثناء في أقوال أنبيائه وعباده الصالحين، قول إسماعيل عليه السلام لأبيه عندما عرض عليه أمر ذبحه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢].

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: «ثم الأدب مع الله ومعرفة حدود قدرته، وطاقته في الاحتمال، والاستعانة بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية ومساعدته على الطاعة، ولم يأخذها شجاعة ولم يأخذها بطولة، ولم يأخذها اندفاعًا إلى الخطر دون مبالاة، ولم يُظهر لنفسه ظلًّا ولا حجمًا، وإنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على مايراد به؛ فيا للأدب مع الله! ويا لروعة الإيمان! ويا لنبل الطاعة! ويا لعظمة التسليم!»[1].

ومن النماذج التي تأدب فيها الصالحون مع ربهم في الاستثناء قول صاحب مدين (الشيخ الكبير) لموسى عليه السلام بعدما عرض عليه

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٩٥.

أن يكـون أجيرًا عنده، كما في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[القصص: ٢٧].

قال سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله، فهو لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين، ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله»[1].

• **الثمرة الرابعة: سلامة القلب من الحقد والحسد والشر للمسلمين**

إن سـلامة الصـدر مـع المسـلمين ثمرة من ثـمار القلب السـليم الراضي بحكم الله عَزَّوَجَلَّ في منعه وعطائه وقبضه وبسطه، لا يحسد أحدًا من عباد الله عَزَّوَجَلَّ على ما آتاه الله، لعلمه أن الحسـد إنما هو اعتراض على قدر الله عَزَّوَجَلَّ، والمعترض على قدر الله غير مستسلم لله تعالى.

«وسـلامة الصدر راحة لصاحبها، وصلاح بـال، وصفاء ذهن، وطمأنينة قلب، وعافية نفسـية، وبرء مـن آلام وأوجاع ومعاناة الغل والحقد والحسد، ومن سائر أدواء مرض الصدر وآفاته.

وإن غـير سـليم الصدر لهو أبـأس المعانين، وأتعـس المتخاصمين، وأشـدهم تـضررًا، وأعظمهم عذابًـا؛ لأنه يعاني ضيقًـا في كل ما ينبغي أن يكـون واسـعًا؛ ضيقًا في صدره، وفي أخلاقـه، وفي فكره.. وهل تجد سـليم الصدر إلا ودودًا بإخوانه، ذلـولًا لهم، رؤوفًا رحيمًا بهم وبعموم

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٨٨.

المؤمنين، محبًّا لهم ما يحبه لنفسه، طالبًا لما فيه صلاحهم، حريصًا على ما فيه نفعهم؟ وذلك ما يجعله شغوفًا بنصحهم، مهمومًا بما فيه عنتهم، يتوخى صلاحهم من كل سبيل؛ فهو على إثر من قال فيه الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]. إنه بلا شك الصدر السليم.

جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات: ٨٤]. «.. أن عوف الأعرابي قال: سألت محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: الناصح لله ﷻ في خَلقِهِ»[(١)].

وكان من دعاء نبينا ﷺ: «**اللهم إن أسألك قلبًا سليمًا**»[(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»[(٣)].. قال الإمام القرطبي معلقًا على هذا الحديث: «يريد والله أعلم أنها مثلها في أنها خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا»[(٤)].[(٥)].

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٩١ دار عالم الكتب.
(٢) رواه أحمد ٤/ ١٢٣، والترمذي (٣٤٠٧).
(٣) مسلم (٢٨٤٠).
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ١١٤.
(٥) انظر مقال: (مرجعية موحدة) مجلة البيان عدد (٢٠٢).

وما أجمل ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من سلامة القلب وحب الخير للمسلمين، فقد روى أبو نعيم في الحلية عن كهمس بن الحسن عن أبي بريدة قال: شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال ابن عباس: إنك لتشتمني، وفيَّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه، فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين، فأفرح به، وما لي به من سائمة[1].

- **الثمرة الخامسة: الثبات أمام الشبهات وسلامة القلب من الحيرة والشكوك واضطراب الموازين**

لقد ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم انقسام الناس أمام الشبهات، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٧ – ٨]، فالناس أمام المتشابه مما لا قدرة للعقول على إدراكه قسمان:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٣١ رقم ١٠٤٧٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (رقم ٣٨٠٠).

القسم الأول: أهل الزيغ والهوى، فهؤلاء يتبعون المتشابه، ويؤولون الأخبار والأحكام بما يوافق عقولهم، ومآل هؤلاء إلى الحيرة والشكوك، ووقوعهم في الاضطراب واختلال الموازين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن هؤلاء المتحيرين الذين كثر في باب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم، بما انتهى إليه من مرامهم، وأنه الشك والحيرة، حيث يقول:

لعمري قد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر ... على ذقن أو قارعًا سن نادم

ويقول الآخر:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال الآخر:

لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل

لي، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي. وقال آخر: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام[1].

القسم الثاني: أهل العلم والإيمان الراسخون في العلم، الذين امتلأت قلوبهم من الإيمان بالله ﷻ، والتسليم لأخباره وأحكامه، لا يعترضون على أخباره بكيف، ولا على أحكامه بلماذا؟ بل هم كما وصفهم الله ﷻ بقوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فلا يعارضون بعض الكتاب ببعض، ولا يعترضون على آياته مما لا تدركه عقولهم بشيء، وإنما هو التسليم والإذعان واليقين والانقياد، وكفى بذلك اطمئنانًا وإخباتًا، يسلم صاحبه بذلك مما يعتري أصحاب القلوب المريضة الزائغة من الحيرة والاضطراب والشكوك والوساوس، وهذا التسليم والإذعان لله ﷻ إنما فاز به من فاز بمعرفته لربه ﷻ ومعرفة أسمائه الحسنى ومعانيها وآثارها في الخلق والأمر، التي تثمر في القلب تعظيم الله ﷻ وإجلاله، والإخبات له، والرضا بحكمه، والحياء منه، والمحبة له سبحانه وتعالى.

وهؤلاء قد منَّ الله ﷻ عليهم بأعظم نعمة وهي نعمة اليقين والتسليم، وسلامتهم من الحيرة والاضطراب واختلال الموازين.

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ١٦٦-١٦٨.

وبمناسبة الكلام عن هذه الثمرة العظيمة من ثمار التسليم لله ﷻ أوصي إخواني المسلمين ولا سيما الدارسين في بلاد الغرب أو الذين قد يواجههم بعض الشبهات في بعض الكتب أو في الشبكة العنكبوتية التي يثيرها بعض الكفار أو المنافقين أو أصحاب القلوب المريضة.. أوصيهم بالوصيتين التاليتين:

الوصية الأولى:

الحذر من أهل الشبهات والزيغ، وهجر كتبهم ومواقعهم أو الجلوس معهم، ولا سيما لمن بضاعته في العلم الشرعي ضعيفة مزجاة، فكم ممن ألقى بسمعه لهم، أو قرأ في كتبهم ومواقعهم، فعلقت بعض شبهاتهم في القلب، ولم يستطع بعد ذلك التخلص منها، فكانت سببًا لفساد دينه وسوء عاقبته، عافانا الله من ذلك.

ويقابل ذلك الحرص على طلب العلم الشرعي ولزوم أهله المتبعين للسلف الصالح، ولزوم منهجهم، والكف عن تتبع الشبهات وعن كل ما لم يكلفنا الله ﷻ العلم به: إما لعدم حاجتنا إليه، أو لقصور عقولنا عن إدراكه.

وهذا المنهج هو الذي سار عليه سلفنا الصالح، وأوصوا به أتباعهم.

- يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم)[1].

- وكان ابن طاوس جالسًا فجاء رجل من المعتزلة: فقال: فجعل يتكلم، فأدخل ابن طاوس أصبعيه في أذنيه، قال، وقال لابنه: أي بني أدخل أصبعك في أذنيك واشدد، لا تسمع من كلامه شيئًا. قال معمر: يعني أن القلب ضعيف[2].

- وذكر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في كتاب العلم قال: قال ابن وهب: كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسي ابن مريم عليه السلام وكيف خلقه الله تعالى؟ ونحو هذا. فشكوت ذلك إلى شيخ فقال لي: ابن وهب قلت: نعم. قال: اطلب العلم فكان سبب طلبي العلم[3].

الوصية الثانية:

إذا وافق وأن أثيرت شبهة حول خبر غيبي أو حكم شرعي كتشريع تعدد الزوجات أو الرق وغيرهما من مشبه كافر أو منافق

(١) السنة للالكائي ٤/ ٧٠٤.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٢١٥ رقم ١٧٧٨)، وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٥ رقم ٢٠٠٩٩).

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٤.

أو ضعيف الإيمان أو سائل متأثر بشبهة، فإن المتعين في هذه الحالة التوجه لمثير الشبهة بالسؤالات التالية:

السؤال الأول:

يُسأل مثير الشبهة: هل أنت مؤمن بوجود الله ﷻ، وأنه خالق كل شيء، المستحق للعبادة وحده لا شريك له؟ فإن أجاب بالنفي، فمن العبث أن يضيع الوقت في الرد على شبهة شرعية لا يؤمن مثيرها بوجود شارعها، وأنه خالق الخلق المستحق للعبادة وحده. وإنما ينبغي أن يتوجه الكلام إلى بسط الأدلة على وجود الله تعالى، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وإن كان يؤمن بوجود الله ﷻ وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فحينئذ يطرح عليه السؤال الثاني.

السؤال الثاني:

ألا وهو: هل أنت مؤمن بأن محمدًا ﷺ مرسل من الله ﷻ إلى الثقلين الإنس والجن، وأن هذا القرآن الذي يتضمن الأخبار والأحكام هو كلام الله ﷻ ووحيه، أنزله على محمد ﷺ؟ فإن أجاب بالنفي فمن العبث ضياع الوقت في مناقشة شبهة شرعية لا يؤمن مثيرها بأن هذا الشرع الذي تضمنه القرآن أو جاءت به السنة الصحيحة من عند

الله!! بـل ينبغـي أن يتوجه النقاش إلى إثبـات أن القرآن كلام الله ﷻ، والـشرع الذي فيه هو شرعه، وما جـاء به النبي ﷺ هو الوحي الثاني، لأنـه لا ينطق عن الهوى. فإن كان يؤمن بأن هذا الشرع الذي تضمنه القـرآن هو مـن عند الله ﷻ، وهـو كلامه ووحيه إلى رسـوله، فحينئذ تسهل معالجة الشبهة بإلقاء السؤال الأخير.

السؤال الثالث:

هـل تؤمـن بأن الله ﷻ الخالق المدبر له الأسـماء الحسـنى العالم بما خلق وبما يصلح لخلقه من تشريع. الحكيم فيما يخبر به ويحكم، الكامل في علمـه وحكمته ولطفـه ورحمته وقدرتـه وعظمته. فـإن كان عنده شـبهة في ذلك أزيلت الشـبهة ببيان معاني أسماء الله الحسنى وآثارها، فإن آمن بذلك سـهل علاج الشـبهة بقولنا: إن شجرة الإيمان لا تقوم إلا على ساق التسليم والإذعان والانقياد، وانتهينا إلى قول الراسخين في العلم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وأنه ما من أمر حرمه الله ﷻ على عباده إلا وفيه شر وعنت عليهم، وما من أمر أحله الله لهم أو أوجبـه عليهم إلا و فيه خير ومصلحة وتيسـير لهم، سـواء أدركت العقول حكمته أم لم تدرك.

فإن وصل صاحب الشـبهة إلى هـذه النتيجة وآمن بها وانقاد لها، فإنـه ينظر إلى ما بقي في نفسـه من تطلع إلى بعض الحكـم الربانية من

هـذا التشريـع أو ذاك، فإن كانـت هذه الحكم معروفـة فإنها تتبين له، وإن لم تكـن معروفة فالرجوع إلى التسـليم والانقياد والقبول من غير حرج ولا شـك في ذلك. وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسـله على التسـليم وعدم الأسئلة عن تفاصيـل الحكمـة في الأوامر والنواهـي والشرائع، ولهـذا لم يحك الله سـبحانه عـن أمة نبي صدقـت نبيها وآمنت بما جاء به أنها سـألته عن تفاصيـل الحكمة، فيـما أمرها به، ونهاهـا عنه، وبلغها عـن ربها. ولو فعلـت ذلك لمـا كانت مؤمنة بنبيهـا، بل انقادت وسـلمت وأذعنت، ومـا عرفت مـن الحكمة عرفته، وما خفي عنهـا لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسـلامها على معرفته، ولا جعلت طلبه من شـأنها، وكان رسـولها أعظم في صدرها من سـؤالها عـن ذلك، كـما في الإنجيل: يا بنـي إسرائيـل لا تقولوا لم أمر ربنـا؟ ولكن قولوا بم أمـر ربنا؟ ولهذا كانـت هذه الأمـة التي هي أكمل الأمم عقـولًا ومعارف وعلومًا، لا تسـأل نبيها لم أمر الله بذلك؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام. وأن قدم الإسلام لا تثبـت إلا عـلى درجة التسـليم، وذلك يوجب تعظيـم الرب تعالى وأمـره ونهيه، فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمـره ونهيـه. فعلى قدر تعظيم العبد لله سـبحانه يكـون تعظيمه لأمره ونهيـه، وتعظيـم الأمر دليل عـلى تعظيم الآمـر. وأول مراتب تعظيم الأمـر التصديـق بـه، ثم العزم الجـازم عـلى امتثاله، ثم المسـارعة إليه

والمبادرة به برغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورًا به، بحيث لا يتوقف الإنسان على معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فهذا من عدم عظمته في صدره، بل يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر. فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر أو فقهها العقل كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال. وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده ولم يقدح في امتثاله، فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي على ماجاءت، لا يعللها بعلل توهنها، وتخدش في وجه حسنها، فضلًا عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء»[1].

• **الثمرة السادسة: علو الهمة وبذل النفس والمال في سبيل الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

سليم القلب المستسلم لربه ﷻ وحده لا يُرى إلا عالي الهمة، يهوى معالي الأمور والأخلاق ويكره سفاسفها، همته في مرضاة ربه سبحانه مسارعًا إليها، ولو اقتضى ذلك بيع النفس والدنيا جميعها، ليشتري بذلك مرضاة ربه سبحانه، كما وصفه الله ﷻ في كتابه:

(١) الصواعق المرسلة ٤/ ١٥٦٢.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[البقرة: ٢٠٧]، وكما أثنى الله ﷻ على نبيه ﷺ وأصحابه الكرام في غزوة الأحزاب في قوله: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب: ٢٢ - ٢٣].

ومن علو الهمة وحياة الروح أنه إذا عرضت عليه القبائح نفر منها، وذلك لحياة قلبه وصحته، فإن الحياء هو مادة حياة القلب، ولذلك تجد صاحب القلب الصحيح السليم إذا فاتته طاعة أو وقع في ذنب تألم بذلك وندم، وعلى العكس من ذلك صاحب القلب المريض الذي لا تؤلمه جراحات المعاصي. وما أكثر هذا الصنف من الناس في زماننا اليوم -عافانا الله من ذلك- ولا سيما بعد انفتاح الدنيا على الناس، وما صاحب ذلك من ثورة إعلامية مسموعة ومرئية ومقروءة فتنت الناس، ونزعت الحياء من القلوب، فأصبح الرجل يسارع في ملأ بيته من أجهزة الفساد، التي تبث الشهوات والشبهات، ويراها مع أفراد أسرته دون غيرة ولا حياء ولا خوف من الله ﷻ، وهذا من علامات مرض القلب أو موته.

ومن علو الهمة وسلامة القلب المحافظة على أنفاس العمر وساعاته، فلا تذهب إلا في مرضاة الله ﷻ وما ينفعه في الآخرة. يتحدث الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن حياة الإرادة والهمة، فيقول: «وكلما كان القلب أتم حياة كانت همته أعلى، وإرادته ومحبته أقوى، فإن الإرادة والمحبة تتبع الشعور بالمراد المحبوب، وسلامة القلب من الآفة التي تحول بينه وبين طلبه وإرادته، فضعف الطلب وفتور الهمة: إما عن نقصان الشعور والإحساس، وإما من وجود الآفة المضعفة للحياة. فقوة الشعور وقوة الإرادة دليل على قوة الحياة، وضعفها دليل على ضعفها... فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية والمحبة الصادقة والإرادة الخالصة. فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخس الناس حياة أخسهم همة وأضعفهم محبة وطلبًا، وحياة البهائم خير من حياته، كما قيل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وتكدح فيما سوف تنكر غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم[1]

ومن علو الهمة وسلامة القلب تعظيم حرمات الله ﷻ، والغضب لله تعالى حين تنتهك، لأن المستسلم لربه سبحانه المعظم لربه المعظم لحرماته لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، وهو يرى الناس على منكراتهم،

(١) مدارج السالكين ٣/ ٢٦٣.

بل يسعى جاهدًا في الدعوة إلى الله ﷻ، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، غيرة على دين الله، وشفقة ورحمة بعباد الله ﷻ، والعكس من ذلك مريض القلب ضعيف التسليم والتعظيم لله تعالى لا يرى إلا بارد القلب منحط الهمة، لا يهمه ما يصيب الدين وأهله، ما دام له أكله وشربه ومتع الدنيا الفانية، وعن هؤلاء يقول ابن القيم: «وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق. وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين.. وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم، قد بلوا في الدنيا بأعظم بليه تكون، وهم لا يشعرون، وهو موت القلب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل»[1].

• **الثمرة السابعة: كثرة ذكر الله تعالى ودعائه سبحانه والتضرع إليه**

صاحب القلب السليم لا يُرى إلا ذاكرًا الله ﷻ مخبتًا متضرعًا إليه، وهذا من علامة محبة المحبوب بأن لا ينساه ولا يغفل عن ذكره، بل يجد الروح واللذة في ذكره ودعائه والثناء عليه، ويجد الوحشة والضيق حين يغفل عن ذكره، فهو في حاجته لذكر ربه كحاجة السمك إلى الماء.

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٧٧ (باختصار).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في تعداده لفوائد الذكر: «الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله ﷻ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله ﷻ مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا»[1].

• **الثمرة الثامنة: الزهد في الدنيا والإنابة إلى دار الخلود**

صاحب القلب السليم يعرف قدر الدنيا ويزنها بما وزنها الله ﷻ، فلا يركن إليها، ولا يجعلها همه، بل هو في شغل عنها في أمر آخرته، والاستعداد للقاء ربه، بما يرضيه عنه بفعل أوامره وترك نواهيه. وكلما صح القلب وسلم من آفاته وأمراضه ترحل عن الدنيا إلى الآخرة، وسعى لها سعيها حتى يصير من أهلها. وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها حتى تصير أكبر همه ومبلغ علمه، أعاذنا الله من ذلك.

• **الثمرة التاسعة: حفظ الله ﷻ لصاحب القلب السليم وإنجائه له من الفتن والكروب والمعاصي**

قال الله ﷻ عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤].

(١) الوابل الصيب ص ٦٢.

يقول السعدي رحمه الله تعالى في فوائد سورة يوسف: «منها: أن من دخل الإيمان قلبه وكان مخلصًا لله في جميع أموره، فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي، ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه»[1].

وقبل ذلك إنجاء الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام من النار، لأنه أتى ربه بقلب سليم كما وصفه سبحانه بقوله ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤]، وقال عن إنجائه له من النار ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٦٩]، والمتأمل في حياة الرسل والأنبياء والصالحين يرى معية الله عز وجل وعصمته لهم من الفتن وإنجائه لهم من الكروب والبلايا.

• **الثمرة العاشرة: التسليم لشريعة الله عز وجل والانقياد للحق إذا بان دليله**

المستسلم لربه عز وجل مستسلم لشريعة الله عز وجل، خاضعًا منقادًا لها عن حب وإخلاص وقبول، داعيًا إلى تحكيمها، رافضًا ما سواها، وذلك لما يعرفه عن الشارع سبحانه، وكماله في أسمائه وصفاته وأفعاله، التي كلها حكم ومصالح وخير وعدل. ولما يراه من التخبط والجهل

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٠٧.

والظلـم في أحكام البشر الجاهلية، وكلما قوي التسـليم في القلب كلما تخلـص من الهـوى والتعصب، وأصبـح محبًّا للحق مؤثـرًا له على كل شيء ينقاد له إذا تبين له من غير كيف ولا لماذا ولا جدال ولا مراء. لا يعارضه بشبهات عقلية ولا شهوات. وقد سبق في مبحث الأحاديث والآثار بعض النماذج العالية من هذا التسـليم والانقياد للحق، الذي نقل عن سلفنا الصالح رحمهم الله، ولا بأس أن نعيد بعضًا منه في هذه الثمرة لمناسبته لها.

- عن عبدالله بن مسـعود رضي الله عنه قال: «لا تشرك بالله شيئًا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فأقبل منه وإن كان بغيضًا. ومن جاءك بالباطل فارددّه عليه وإن كان حبيبًا قريبًا»[1].
- قال الربيع: سـمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول، وقد قال له رجل: تأخذ بهذا الحديث يا أبا عبدالله؟ فقال: متى رويت عن رسـول الله ﷺ حديثًـا صحيحًـا ولم آخـذ منـه فأشـهدكم أن عقـلي قـد ذهب»[2].
- وعن الشافعي رحمه الله تعالى قال: «ما كابرني أحد على الحق ودافع إلا سقط من عيني، ولا قبله إلا هبته، واعتقدت مودته»[3].

(١) صفة الصفوة ١/ ٤١٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣.

- ويعلق الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى على قوله ﷺ في دعائه: «**وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا**»[1]. فيقول: «ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق في رضاه، فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضًا رضاه في الباطل، سأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقه لكلمة الحق في الغضب والرضا، ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه عن الحق»[2].

- **الثمرة الحادية عشرة: الفرح والاعتزاز بهذا الدين العظيم**

المستسلم المسلم لربه وحده، لا يرى إلا مغتبطًا مسرورًا بهذه النعمة العظيمة، فرحًا بها ساعيًا لدعوة الناس لها ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

(١) مسند أحمد (١٨٣٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٨١).
(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٩.